فتح القناة ومدرسة السادات السياسية

ت قناة السويس للملاحة الدولية من جديد ، وذلك بعد ثماني سنوات من اغلاقها في يونيو ١٩٦٧ ، وبعد عشرين شهرا من اكتوبر ١٩٧٣ . ايا كانت المواقف التي تتخذها قوى المنطقة والصراع — ذات المنابع المتعددة اجتماعيا وسياسيا — صخبا وانجاهات حركة الاحداث الجارية اليوم ، فان احدا لا يستطيع — وهو بصدد تقييم حساباته — أن يتجاهل « الواقع الجديد » الذي فرضه فتح القناة على خريطة المنطقة والصراع ..

جديدة — فقط — في أن « جيوستراتيجية » اغلقت القناة ، وان « حربا فتحت القناة . الجديد أحدث تلك اثرا وبعدا .

رز هذه الآثار — ونحن هنا نلخص [illegible] — يمكن في

البعد الاول : يعني انه في ميزان علاقات القوى الراهنة في المنطقة والصراع كل واضح كفة القوى التي يمثلها الرئيس السادات — سواء على مستوى المعركة السياسية في العالم العربي او على مستوى المعركة الدبلوماسية مع اسرائيل — كفة القوى الاخرى .

والمدرسة الساداتية — اذا جاز التعبير — اصبحت تملك اكبر قدرة جاذبة على المناورة والمبادرة والفعل ، وذلك بالقياس الى مختلف القوى الاخرى المنافسة ، التي وان اتفقت على الهدف الاستراتيجي ، الا انها ذات تكتيكات متحجرة ومختلفة في ميدان الواقع ، ولم تستطع ان تترجم — بعد — ورقتها الى افعال ومبادرات حية .

في حين انطلق الرئيس السادات في حركة ذاتية منذ قرار حرب اكتوبر في ١٩٧٣ ، من قبول وقف اطلاق النار بعد ثلاثة اسابيع من القتال منفذا اصطدم — على حد تعبيره — بالولايات المتحدة في الميدان ، الى مفاوضات الكيلو ١٠١ ، الى جلسات مؤتمر جنيف الاولى ، الى مهمة كيسنجر الاولى الناجحة ، الى انتظار سقوط نيكسون في هوة ووترجيت ، بمهمة ثانية لكيسنجر لم يتحقق لها النجاح ، الى لقاء سالزبورج مع الرئيس فورد ، الى فتح قناة السويس في ٥ يونيو ١٩٧٥ .

في مواجهة هذه الحركة الساداتية ، لايكاد المراقب يلمس حركة عربية مقابلة او بديلة ذات وزن ، اللهم الا الصامد ميليشيات الثورة الفلسطينية في الارض المحتلة ، وهو صامد يدفع له الوجود الفلسطيني في لبنان — مع الاحتضان اللبناني — ثمنا باهظا يستنزف كل القوى الوطنية ، على هذه الجبهة الساخنة التي تصاعدت احداثها في الفترة الاخيرة ، وذلك دون نجدة رادعة وحاسمة .

النزيف مستمر والكل يتفرج

على صعيد المعركة الدبلوماسية مع اسرائيل ، نجحت المدرسة الساداتية في ان تزعزع علاقات اسرائيل التقليدية مع الغرب عامة ومع الادارة الحاكمة بالبيت الابيض ووزارة الخارجية في الولايات المتحدة بصفة خاصة وذلك على نحو غير مسبوق في المنطقة ، وذلك بتقديم البديل عربي « لاسرائيل » ، قادر ومؤهل على حماية المصالح الغربية في المنطقة من خلال اسلوب المشاركة في الطاقة ورأس المال والتكنولوجيا . وهو وضع دفع باسرائيل الى مأزق لم تألفه في تاريخها من قبل وحولها — تكتيكيا — الى موقف الدفاع بعد ان كانت باستمرار في موقف الهجوم . الامر الذي زاد من حرجه الضغط عليها من جانب حلفائها لتقديم تنازلات تكتيكية للعرب وخاصة على الجبهة المصرية .

ويستند السادات في بلورة قوته المتحركة الى عدة عوامل ، لها ثقلها في المنطقة والصراع .

بقلم

لطفي الخولي

■ **العامل الاول** : يتمثل في الوزن المصري ، عسكريا وسياسيا وحضاريا ، والذي [illegible] امكانية تحريك عسكري ضد الاحتلال الاسرائيلي . ويدخل في حسابات هذا العامل ايضا ، دور مصر في حرب اكتوبر ودور السادات — شخصيا — في اتخاذ اول قرار لحرب هجومية في تاريخ الصراع المصري الاسرائيلي منذ ١٩٤٨ .

■ **العامل الثاني** : يتركز في حصوله على مساندة كاملة من دول البترول الكبرى في المنطقة وبالذات السعودية وايران وبلاد الخليج . وبالتالي توظيف « الطاقة » في خدمة حركته ومناوراته السياسية ، وذلك على اساس احترام نظمها الاجتماعية والسياسية وعدم التدخل في شئونها .

■ **العامل الثالث** : هو تمكنه في الآونة الاخيرة من تحييد الدول العربية ذات الاتجاه السياسي الراديكالي وبالذات العراق والجزائر ، او على الاقل التزامها بعدم عرقلة حركته في العمل ، لمرحلة زمنية كافية ، يمكن بعدها الحكم على النتائج وتقييمها سلبا او ايجابا .

■ **العامل الرابع** : يتجسد في فتح ابواب عربية اوسع واكثر امنا للولايات المتحدة في المنطقة ، وذلك بالقياس الى الباب الاسرائيلي الضيق والمحفوف بالمخاطر ، خاصة بعد حرب اكتوبر وآثارها العسكرية والبترولية .

□ ● □

هكذا نقرأ ملامح البعد الاول لفتح قناة السويس . وكان الرئيس السادات قد لخص هذا البعد ، في ختام جولته العربية الاخيرة التي سبقت لقاءه بالرئيس الامريكي في النمسا حيث اكد على انه يذهب الى سالزبورج « للتباحث مع فورد باسم الغالبية العظمى من الملوك والرؤساء العرب قبل فتح القناة » .

● **اما البعد الثاني** لفتح قناة السويس فانه يكشف بجلاء عن مضمون وحدود حركة الرئيس السادات ومبادراته المعهودة في تاريخ المنطقة والصراع معا ، والتي تشكل في الواقع منهجا سياسيا جديدا .

كيف ؟

ينطلق الرئيس السادات ، بوضوح من مفهوم اساسي هو ان الصراع العربي الاسرائيلي ، صراع اجيال .. وليس في مقدور جيل واحد — وخاصة بعد العديد من التجارب — ان يتحمل بمفرده مهام كل الاجيال . ومن هنا فلابد من ان يحدد لكل جيل معالم واهداف معينة ، في هذا الصراع عليه ان ينجزها دون ان يطالب باكثر من ذلك لانه فوق طاقته واحتماله . وان على العرب — في هذا المجال — ان يتعلموا من المخطط الصهيوني الذي اعتمد اسلوب الاجيال المتتابعة منذ مؤتمر بال في سويسرا في ١٨٩٧ والهجرات المتلاحقة الى فلسطين ووعد بلفور باقامة وطن قومي حتى قيام اسرائيل في ١٩٤٨ ، ثم توسعاتها المتوالية بعد ذلك .

وفي اطار الواقع الراهن والظروف المميزة ، فان معالم الجيل العربي المعاصر — في مفهوم الرئيس السادات — تنحصر مهمته في ازالة آثار عدوان سنة ١٩٦٧ ، بتحرير الارض العربية المحتلة ، وفي الاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني من خلال اقامة دولته الوطنية في غزة والضفة الغربية .

ما يزيد عن هذه المهام ، يبقى خارج اطار مسئولية جيل حرب اكتوبر ، وتتحمل عنه الاجيال القادمة .

وتحقيق مهام هذا الجيل ، يعني بلا غموض في منهاج السادات ، ان اسرائيل تظل قائمة في حدود ما قبل الخامس من يونيو سنة ١٩٦٧ . وهذه حقيقة لا مفر أمام الجيل المعاصر من ترويض نفسه على الاعتراف بها . ولكن بصورة لا تصادر حق الاجيال القادمة في الصراع او تستلب مهامها .

ومن هنا ، فان مدرسة السادات السياسية ترى ان يكون الاعتراف ، اذا ما تم انجاز مهام الجيل المعاصر ، سياسيا ، في حدود خطوط ثلاثة :

● **اولا** : انهاء حالة الحرب مع اسرائيل في هذا الجيل .

● **ثانيا** : الاعتراف باسرائيل كأمر واقع .

● **ثالثا** : عدم قيام التبادل الدبلوماسي او التجاري مع اسرائيل ، باعتبار ان هذا خارج اطار مهام الجيل الراهن ، ويترك أمر تقريره الى الاجيال القادمة .

ويمضي الرئيس السادات في حركته ومبادراته السياسية ، من اعتقاد راسخ بانه ، في عصر الانفراج الدولي ، اصبح من الضروري الانتقال من حالة الاستقطاب الذي يجعل معادلة عربية — سوفيتية في مواجهة حادة مع تحالف اسرائيلي — امريكي ، الى حالة توازن في العلاقات مع كل من الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الامريكية .

وفي تقديره ان هذا التوازن ، من شأنه ان يؤدي — من خلال مبادرات متوالية — الى فك الارتباط التاريخي والمصلحي بين اسرائيل وامريكا ، وان الظروف الدولية عامة ، وظروف المنطقة بعد حرب اكتوبر خاصة ، باتت ناضجة لاحداث ذلك . فهناك ازمة الطاقة التي تحكم وسطها العرب مع ايران ، احسم بمفاتيحها الراهنة . وهناك الخروج الامريكي من فيتنام وكمبوديا والشرق الاقصى ، الذي لابد وان يعوض بنوع من الثقل الموجه والمصالح الامريكية في الشرق الاوسط ، والا اختلت موازين القوى بين السوفيت والامريكيين ، لصالح الاولين بدرجة خطيرة .

وهذا يستلزم — بالضرورة — نسج علاقات من نوع جديد مع الولايات المتحدة وخاصة لبلدانها التقليدية وقواها المالية والبترولية ، ترسيه اقتناعا متزايدا لدى جماعات الضغط السياسية بالمجتمع ، بان الحصان الامريكي اذا كان قد خسر في الشرق الاقصى ، فان امامه فرصة لا تعوض للكسب في الشرق الاوسط اذا تخفف ، الى حد معقول ، من الثقل الاسرائيلي .

ومدرسة السادات السياسية ، لا تميل الى انتهاج الاسلوب الفيتنامي وحربه الشعبية الطويلة الامد ، الذي كثيرا ما يحتج به في مواجهتها . وذلك على اساس رؤيتها بان الظروف — وخاصة الجغرافية — تختلف في العالم العربي عنها في فيتنام . فضلا عن ان اسرائيل تختلف في طبيعتها وفي اسلوب التصدي لها عن الكيان الفيتنامي الجنوبي .

وفوق هذا وذاك ، فان المدرسة السياسية للسادات تقدر ان حجم التضحيات المادية والبشرية للجيل العربي عامة وللجيل المصري خاصة في الصراع مع اسرائيل ، قد بلغ حدا يحول — بسبب طول — الاحتلال وبهدد فرصة التطور والامن الاجتماعي في الصميم .

وفي كلمات لا ينقصها الوضوح ، صارح الرئيس السادات الشعب المصري والامة العربية بقوله اكثر من مرة :

● ان الاقتصاد المصري وصل الى حلة الصفر قبيل حرب اكتوبر .

● ان مصر بعد ان كانت من اغنى البلاد العربية ، صارت من افقرها ، نتيجة استنزاف طاقاتها في الصدام المسلح مع اسرائيل .

□ ● □

هكذا يأتي فتح قناة السويس ، تجسيدا واضحا لمدرسة السادات السياسية في معالجة الصراع العربي — الاسرائيلي بعد حرب اكتوبر ، وبمفهوم المهام المحددة للجيل العربي المعاصر .

في مقابل هذه المدرسة الساداتية ، المحددة الابعاد والوسائل والاهداف والفعل ، لا يوجد — بعد — في الوطن العربي مدرسة اخرى ، على مستوى الدول ، تطرح سياسة بديلة قادرة على الفعل والمبادرة .

هذه هي القضية .

الأهرام

في واشنطن

وغدا الرئيس فورد مع
، رئيس وزراء اسرائيل
الذي جمعه في سالزبورج
سادات .

ين الى واشنطن معلنا انه
للوصول الى اتفاق حول
ان في جبهة سيناء .

الى فشل مهمة كيسنجر الاخيرة
ام اسرائيل بان هذا الفشل
د من اوجه التباين بين
مريكا ووجهة نظر اسرائيل
التي ينبغي اتخاذها الان
حل سلمي لازمة الشرق

د على اي حال ان راي
مريكا واسرائيل يستدعي
يرة ان تسفر عن مرونة
جبها في مباحثات كيسنجر
سرائيل تمضي مطمئنة الى
ت السلاح ، والى معونات
م حظـر امريكي مالم
ن اعادة تقييم سياستها
م .

اس ان العالم بأسره يدرك
ك الولايات المتحدة —
ك نبأ لمرفق القناة امبح
رار مصر بإعادة فتح المعبر
ى الدولية . ولايمكن اعتبار
بمعقل قواتها وحده كافيا
ة في القناة استقرارها

لايمكن توقع ان تلقي مصر
د تبديها اسرائيل تحصل
زلي عن التسوية الشاملة ،
الانسحاب على جبهة سيناء
صل عن الجهود المبذولة
حل كلازمة بينهما وبين .

واردة ومطلوبة للتخطي
ية والتكتيكية التي تعترض
لكنها غير واردة فيما يتعلق
ية ، او بما يتصل بصلب
حق العرب في استعادة كل
ستولي عليها اسرائيل بطريق
ق شعب فلسطين بالذات
معرفته القومية المشروعة .